المحاضرة الثالثة عشرة

الاختلافات النحوية في المنظومات

النظم في اللغة:

جاء في مختار الصحاح للرازي ما نصه: "نَظَمَ اللؤلُؤ جمعه في السّلك وبابه ضرب، ونظمه تنظيما مثله، ومنه نظم الشعر و نَظمه]"235.[

وأمّا المنظومات في علم النحو، فمن بين تعاريفها ما ذكره الدكتور حسان عبد الله الغنيمان في كتابه "المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو": "...المنظومات النحوية نوع من الشعر التعليمي، وهو النظم الذي يهدف به ناظمه إلى تعليم الناس.. فقد فطن مصنفو العلوم وخاصة النحو إلى أنه بالإمكان توظيف نظم الشعر وايقاعاته في صياغة منظومات نحوية تسهم في تسهيل تعلمه، وتيسر حفظ قواعده]"236.[

ما يستنتج من التعريفين اللغوي والاصطلاحي أن المنظومات النحوية هي متون نحوية، يؤلفها بعض علماء النحو شعرًا، والغرض من ذلك هو تسهيل حفظ قواعد النحو وأبوابه على الطلاب، وطريقة من طرائق تسييره وتسمى أيضًا: الشعر التعليمي.

ظهرت المنظومات النحوية في عصور متأخرة عن عصور نشأة النحو لمّا تضاءل عدد النحاة وشاع اللحن بكثرة بين الناس وضعفت همة الطلاب على استيعاب أبواب النحو وقواعده فهبت مجموعة من النحاة إلى نظم هذه الأبواب والقواعد في قالب شعري يسهل للطلاب تعلم النحو لأن الشعر أسهل للحفظ من النثر.

قال ابن خلدون: "... وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيرًا من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع من نقل كما نقله ابن مالك في كتاب التسهيل... ولربما نظموا ذلك نظمًا مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى]"237.[

والمعروف لدى دارسي هذه المنظومات أنها كثيرة لا يمكن حصرها في عدد معين، كما أنه من الصعب تحديد أولى المنظومات لأن الآراء حول ذلك متشعبة ومتضاربة غير أننا سنحاول الوقوف عند أشهر هذه المنظومات على وجه الترتيب الزمني الخاضع لوفيات أصحابها، من خلال التعريف المختصر بهم والإشارة إلى منهجهم وأبواب هذه المنظومات ثم الوقوف عند أهم الاختلافات النحوية:

ملحة الإعراب وسنخة الآداب للحريري:

ناظمها: هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، ولد سنة 446ه بالبصرة، ولقب بالحريري لاشتغاله بعمل الحرير وبيعه، توفي سنة 516ه، من مؤلفاته: المقامات، ديوان شعر، وملحة الإعراب في علم النحو]238.[

والمشهور عند الدراسين أن هذه المنظومة هي من أوّل ما ألف في هذا النوع من الشعر التعليمي، يقول محققها عن الحريري: "وهو من أوائل من طرق هذا الفن، فلقد سبق ابن معطي وابن مالك في صياغة النحو في منظومة شعرية]"239.[

أبواب هذه المنظومة:

بدأ الحريري مقدمة حمد فيها الله تعالى وسلم على النبي وآله بقوله:

أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول شديد الحول

وبعده فأفضل السَّلام على النبي سيد الأنام

ونذكر مما تطرقت إليه هذه الأبواب: باب حد الكلام، باب الاسم، باب الفعل، باب الحرف، باب المعرفة والنكرة، باب قسمة الأفعال، باب فعل الامر، باب الفعل المضارع، باب الإعراب، ثم ختم المنظومة باب الشرط وباب المبنيات.

وأمّا الخاتمة فكانت أبياتا تحتوي على النصح والإرشاد أكد فيها أن علوم العربية كلها وتلاوة القرآن الكريم وفهمه مناطه علم النحو يقول:

إن شئتَ نيلَ العلمِ والآدابِ وبراعةً في فهم كل كتابِ

وتلاوةَ القرءان حقَّ تلاوةٍ لفظًا وتفسيرًا وفصْلَ خِطابِ

وقراءةِ السنن المنيرة تابعًا آثارها متوخيًا لصوابِ

وبلوغِ غايات البلاغةِ عارفًا بمواقع الإيجازِ والإطناب

فابدأ بعلم النحو فهو أساسها لا يمتري في ذا أولو الألباب]240.[

منهج ناظمها:

نظمها على الرجز الذي تفعيلاته:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وهو سهل على النظم والأبيات على هذا النحو تسمى أرجوزة والجمع أراجيز، ولقد احتوت المنظومة ثلاثمائة وثمانية وسبعين بيتا (378)يضاف إليها أبيات الخاتمة وعددها ثلاثة عشر بيتًا فيصبح عدد أبياتها الإجمالي أربعمائة بيتٍ وبيتًا واحدًا) 401.(

يتجلى لنا أن الناظم يتمذهب بمذهب البصريين فهو يختار مصطلحاتهم وتصنيفاتهم ومن ذلك: استعمال مصطلح (فعل الأمر) ومصطلح (المضارع) وهذان الاصطلاحان للبصريين والكوفيون يسمون الأمر (المنقطع) والمضارع (المستقبل).

يقول الحريري: "وإن أردتَ قِسمة الأفعالِ ..... لِينجَلي عنكَ صَدَا الإشكَالِ

فَهْيَ ثَلاثٌ مَا لهُنَّ رابعُ ..... ماضٍ وفِعلُ الأمرِ والمُضارِعُ]"241.[

للحريري بعض المصطلحات الخاصة ومنها: المفرد عنده (الفريد) يقول:

ونَوِّن الاسمَ الفريدَ المُنْصرفْ..... إذا دَرجْتَ قائلاً ولم تَقِفْ]242.[

ومن تجليات تمذهب الحريري في ملحمته بمذهب البصريين رأيه في أن المصدر أصل والفعل فرع عنه وهذا مذهب البصريين وأمّا الكوفيون فيرون العكس الفعل أصلاً والمصدر فرعًا.

يقول الحريري:

والمصدرُ الأصلُ وأيُّ أصلِ ..... ومنهُ يا صاحِ اشتقاقُ الفعلِ.

أسقط الحريري من ملحمته كثيرًا من أبواب النحو ومنها: باب المبتدأ والخبر وما يتبعهما من أبواب كمسوغات الابتداء بالنكرة والتقديم والتأخير، كما أسقط باب التنازع.

الدرّة الألفية (ألفية ابن معطي):

ناظمها: هو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي، ولد سنة 564ه، وتوفي سنة 628ه]243.[

ذكرنا من قبل أن ملحة الإعراب هي من المنظومات الأول، وأمّا ألفية ابن معطي فقد قيل عنها إنها من أوّل المنظومات في نوعها وذلك لأنها نظمت على ألف بيت.

جاء في تحقيق هذه الألفية: "تعد الدرة الألفية في علم العربية من أشهر مؤلفات ابن معطي لأنها أوّل منظومة نحوية في ألف بيت]"244.[

أبواب المنظومة:

بدأ ابن معطٍ بحمد الله ثم الصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه-

يقول: يقول راجي ربه الغفور يحيى بن معطي بن عبد النور

الحمد لله الذى هــدانا بأحمـــــــــد دينـــــــــا له ارتضـانا

إلى ان يقول: صلى عليه الله ثم سلمَا وَآلـــــــــه وصحـــــــــبه وكـــــرّمَـــــا

ثم يبدأ بباب الكلام والكلم، ثم علامات الاسم والفعل والحرف وختم ببابي الابدال والادغام، وباب الضرورات الشعرية]245.[

منهج ناظمها:

ما تمتاز به ألفية ابن معط أنه نظمها على بحرين هما الرجز

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وعلى بحر السريع وتفعيلاته:

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن]246.[

بلغ عدد أبيات هذه المنظومة ألفًا وواحدًا وعشرين بيتًا 1021.

ويمكن أن نختصر منهج ابن معط في هذه المنظومة في أربعة محاور:

-1آراؤه الخاصة به.

-2موافقة البصريين.

-3موافقة الكوفيين.

-4موافقة البغداديين.

وسنقدم مثالاً توضيحيًا على كل محور.

-1آراءه الخاصة به:

من ذلك رفضه تقديم خبر "ما دام" على اسمها دون غيرها.

يقول: ولا يجـــــــــوز أن تقدم الخبر على اسم ما دام و جاز في الأُخر

-2موافقة البصريين:

ومن ذلك تأييده لرأي البصريين في أن الاسم مشتق من السمو وهو العلو، والكوفيون يرون أنه مشتق من الاسم وهو العلامة.

يقول: واشتق الاسم من سما البصريونْ واشتقه من وَسَمَ الكوفيونْ

والمـــــذهب المقـــــــــــــــدم الجـلـــــي دليـــله الأسمـــــــاء و السميّ

-3 موافقة الكوفيين:

رأيه في أن "سكران" ممنوعة من الصرف لعلتين هما الوصف وزيادة الألف والنون وهذا رأي الكوفيين ولكن البصريين يرون منع "سكران" من الصرف لما نسميه ألف التأنيث.

-4موافقة البغداديين:

وقع خلاف بين النحاة حول تقديم خبر ليس عليها واحتج المانعون بأن "ليس" فعل جامد، لا يتقدمه الخبر كما يتقدم على الأفعال المتصرفة، ويرى أبو علي الفارسي أن تقديم خبر "ليس" جائز وهو من البغداديين، وقد توافق رأي ابن معط مع رأي ابن علي الفارسي.

يقول ابن معط: وجملة الأفعال كان أضحى أصبح ظل بات صـــــار أمسى

والسبعة الأولى تقدم الخـــبـر فيها عليها وعلى اسمها اشتهر

ومن المانعين لتقديم خبر ليس عليها الكوفيون والمبرد وابن السراج]247.[

ألفية محمد بن مالك:

ناظمها: هو محمد بن مالك الجياني الأندلسي، ولد سنة 600ه، وتوفي سنة 672ه]248.[

ألفيته:

ماهي الألفية: جاء في المنجد في اللغة والأعلام ما نصه: "الألفية نسبة إلى الألف، وهو اسم منظومات شعرية جمعت فيها قواعد علم من العلوم العربية]"249.[

فالألفية هنا منظومة على بحر الزجر في علم النحو العربي وهذه الالفية نظمها ابن مالك لطلاب النحو، وسماها (الخلاصة)، وكان قد نظم قبلها منظومة (الكافية الشافية) في أكثر من ألفي بيت.

يقول الدكتور محمد المختار ولد اباه: "...كان أول ما كتب منها الكافية الشافية وهي موسوعة شاملة للمعلومات التي جمعها من دراسته الواسعة، وقد نظمها في ألفين وسبعمائة وخمسين بيتًا ونيف]"250.[

غير أن الشهرة والقبول والانتشار كتبها الله تعالى للخلاصة، إذ أقبل عليها طلاب النحو في مختلف العصور وشرحها كثير من النحاة.

أبوابها:

استهل ابن مالك "الألفية" بحمد الله تعالى والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم والسلام -على آله، ذاكرًا أن ألفيته تفوق ألفية ابن معط في الاختصار والوضوح لكنه اعترف له بالسبق إلى النظم.

يقول ابن مالك:

قالَ مُحمَّـــــــدٌ هو ابْنُ مالكِ أحمدُ ربِّيْ اللهَ خـــــيرَ مالكِ

مُصلِّياً على النَّبيِّ المصطفى وآلهِ المُسْتكمـــــــلينَ الشَّرَفا

وأســتعـــــــــينُ اللهَ فـــي ألفيَّة مقاصــدُ النَّحْوِ بهـــا مَحْوِيَّة

تُقرِّبُ الأقصى بلفْظٍ مُوْجَزِ وتَبسطُ البَذْلَ بوعدٍ مُنْجَزِ

وتقتضي رضىً بغيرِ سُخْطِ فائـقـــةً ألْفِيَّةَ ابْـــــــــنِ مُعْطِ

وَهوَ بِسَبقٍ حـــــائِزٌ تفضيلاً مستوجِبٌ ثنـــــــائِيَ الجميلا

واللهُ يقضـــــــي بهِبَاتٍ وافِرهْ لي ولهُ في درجاتِ الآخِرَهْ]251.[

وبعد هذا الاستهلال شرع في نظم أبواب النحو، بدأ بباب الكلام وما يتألف منه، ثم باب المعرب والمبني، فباب النكرة والمعرفة ثم مضى في باقي الأبواب وختم بباب الحذف وباب الادغام.

شراحها:

بسبب شهرتها وإقبال الدارسين عليها تعرض لها كثير من النحاة بالشرح ومن أشرح شروحها:

-أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك لابن هشام (مطبوع).

-شرح الألفية لبدر الدين بن محمد بن مالك ويعرف هذا الشرح بـ(شرح ابن الناظم) مطبوع.

-شرح ألفية ابن مالك لعبد الرحمن المكودي (مطبوع).

ومن الشروح الحديثة:

دروس في شرح الالفية للدكتور عبده الراجحي (مطبوع).

منهجها وبعض من آراء ناظمها:

نظمها كلها على بحر الرجز بعبارات واضحة دقيقة تسهيلاً للحفظ، يقول الدكتور "إميل بديع يعقوب" في تعليقه على شرح الأشموني: "وأبيات الالفية كلها من كامل الرجز وتمتاز عباراتها بالرقة والدقة والإيجاز في صياغة الأحكام ولذلك يسهل حفظها]"252.[

والمعروف عن ابن مالك في ألفيته أنه ابتعد عن التعصب المذهبي، بل ويراه محمد المختار ولد اباه قد حرر النحو العربي من كل ما علق به من غموض وافتراضات وفلسفة ونظريات عبر العصور.

يقول: "... منهجه العام في التحرر من القيود المذهبية ...فكان عملا وسطًا قريب المأخذ سهل التناول تجنب غموض أبنية سيبويه، وافتراضات المبرّد، وتفريعات أبي علي الفارسي، وفلسفة الرماني، وتنظيرات ابن جني وتحاليل السهيلي وتقنين أبي موسى الجزولي]"253.[

ومن مظاهر عدم تعصب ابن مالك لرأيه ذكره لرأي سيبويه في مسألة المفعول به الثاني في "أفعال القلوب" إذا كان ضميرًا فهو يختار أن يكون ضميرًا متصلاً لا منفصلاً، وامّا سيبويه فيختار الضمير المنفصل

يقول ابن مالك:

كـــــــــذاكَ خِلْتَنِيهِ واتصالاً أختارُ غيرِي اخْتارَ الانفصالا]254[

ويقصد بـــ(غيري) سيبويه.

بعض الاختلافات النحوية في المنظومات:

ونجمل بعضًا من الاختلافات النحوية التي ذكرناها عن هذه المنظومات الثلاث:

-منظومة: ملحة الإعراب وسنخة الآداب للحريري.

-منظومة الدرّة الألفية لابن معط.

-منظومة الألفية (الخلاصة) لابن مالك.

-من أوائل المنظومات النحوية منظومة الحريري.

-كان يعتمد فيها على آراء البصريين ومصطلحاتهم وكانت له مصطلحات نحوية خاصة به.

-إسقاط الحريري بعضًا من أبواب النحو مثل: الابتداء وباب التنازع في العمل.

-أول منظومة على ألف بيت كانت لابن معط واستعمل فيها بحرين هما الرجز والسريع.

-تميزت منظومته باعتماد آراء خاصة بصاحبها وموافقة آراء البصريين أحيانًا والكوفيين أخرى والبغاددة مراتٍ.

-أشهر هذه المنظومات ألفية ابن مالك المعروفة بـ(الخلاصة) نظمها على بحر الرجز.

-كان يذكر آراءه وآراء غيره.

-كانت في النحو والصرف.

ولا نغادر هذه المحاضرة دون الإشارة إلى منظومات نحوية أخرى مع أصحابها، ومن ذلك:

-منظومة فيما ورد من الأفعال بالواو والياء لابن مالك.

-لامية الأفعال لابن مالك، توفي سنة 672ه.

-منظومة مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، نظمها على الحروف الهجائية، توفي سنة 761ه.

-منظومة (لامية في النحو) زين الدين الآثاري، توفي سنة 828ه.

-نظم الآجرومية لشرف الدي يحيى العمريطي، توفي سنة 989ه.

ملخص المحاضرة:

أهم الاختلافات النحوية في المنظومات:

من أوائل المنظومات النحوية منظومة الحريري كان يعتمد فيها على آراء البصريين ومصطلحاتهم وكانت له مصطلحات نحوية خاصة به.

إسقاط الحريري بعضًا من أبواب النحو مثل: الابتداء وباب التنازع في العمل.

أول منظومة على ألف بيت كانت لابن معط واستعمل فيها بحرين هما الرجز والسريع.

من مميزات منظومته أن له آراء خاصة به كما وافق آراء البصريين أحيانًا والكوفيين أخرى والبغاددة مراتٍ.

أشهر هذه المنظومات ألفية ابن مالك المعروفة بـ(الخلاصة) نظمها على بحر الرجز.

كان يذكر آراءه وآراء غيره.

كانت في النحو والصرف.

قائمة المراجع المعتمدة في المحاضرة الثالثة عشرة

.1تاريخ النحو العربي.

.2تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في شرح ملحمة الإعراب للحريري، أبو المحاسن الحضرمي، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1425ه/2009م، ط1.

.3الدرة الألفية، ابنن معطي، تح: سليمان البلكيمي، دار الفضيلة، مصر، 2010م، ط1.

.4شرح الأشموني، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ط1، ج1.

.5شرح ألفية ابن معط.

.6متن الألفية، ابن مالك، دار المعرفة، المغرب، 2011، د ط.

.7مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تح أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1426ه/ 2005م، د ط.

.8المقدمة، ابن خلدون، تح: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425ه/2005م.

.9ملحمة الإعراب وسنخة الآداب، الحريري، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1434ه/2013م، ط1.

.10المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1991، ط31، مادة "ألف."

.11المنظومة النحوية وأثرها في تعليم النحو، حسان بن عبد الله الغنيمان، نسخة مصورة.